رسالة من غرفة الإعدام

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من شارع رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

رسالة من غرفة الإعدام
وليد حسن المدني
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2019/27500
الترقيم الدولي: 978-977-6634-40-4
الطبعة الأولى: 2020

وليد حسن المدني

رسالة
من غرفة الإعدام

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

)+ظ،ج،ظ×

يبدو أن الزمن لا يريد للجرح أن يلتئم بعد كل تلك السنوات التي ظنت فيها أنها قادرة أن تتعايش مع واقع حياتها الأليم، حتى يد الزمن التي كانت تتوقع أنها ستحنو عليها وتكون كفيلة بتضميد هذا الجرح الغائر في نفسها أبَتْ أن تشفق عليها لتعيد فتح هذا الجرح مرة أخرى.

عندما سمعت صوت طَرقٍ على باب منزلها في تلك الساعة المبكرة لتجد أمامها ذلك الشخص التي ما كانت تتوقع أن يطرق باب منزلها، علمت من ملابسه الرسمية المطبوع عليها شعار "fedex" هويته، ألفت هيئته وأسلوبة المهذب دائمًا عند تقديم الطرود إليها في جهة عملها عندما كانت ترسل أو تستقبل بعض عينات تحتاج التحليل خارج البلاد، إما أن يأتي الآن إليها بصفة شخصية بعد أن تركت العمل! فهذا ما يثير علامات الاستفهام البادية على ملامحها حتى وهي تجاوب بالإيجاب عندما سأل عن هويتها.

استلمت فريدة الطرد المغلق بإحكام قبل أن تتبادل ابتسامة ود مصطنعة، لم تستطع أن تخفي خلفها قلقها من ذلك المظروف الأصفر الذي فتحته بسرعة بمجرد أن غادر رجل "fedex" عتبة المنزل لتجد في طياته عدة أوراق مكتوبة على حاسب آلى بدت للوهلة الأولى لها أنها رسالة موجهة إليها بتلك الطريقة البدائية في عصر الإنترنت وثورة المعلومات!

حاولت عبثًا معرفة اسم الباعث إليها بتلك الرسالة حتى قبل أن تعرف مضمونها. بحثت عن اسمه على المظروف الخارجي والذي لم تتبين منه إلا اسمًا أجنبيًّا، ما تظنها سمعت عنه من قبل خوسية دييغو! لم يكن لديها أدنى شك أن صاحب هذا الاسم هو شخصٌ إسباني من اسمه ومن بلد المصدر التي ظهر عليها مكان الإرسال "إسبانيا"، إلا أن الرسالة كانت بالعربية والتي قلبت ورقاتها الأربع المكتوبة على الحاسب الآلي غير مذيَّلة بتوقيع مما أثار الريبة في قلبها. إلى جانب ورقة أخرى مكتوبة بخط يدٍ تظن أنها تعرفه، ورقة صغيرة مكتوب عليها كلمات محدودة أدخلت الرعب في قلبها وكأنها تسمعها بصوت صاحبها المرتعش والذي ما زال مجهولاً لها.

"والله العظيم ما قتلتهم يا فريدة"

لم تكن فريدة بعد تلك البداية الغامضة تشتاق إلى معرفة مضمون الرسالة بقدر ما كانت تريد الاستمتاع بتلك اللحظات من التشويق التي أعادتها بالزمن إلى الوارء بضع سنين، بل تركت الرسالة على الأريكة متوجهة إلى المطبخ تعد فنجان قهوتها الذي اعتادت عليه حتى تقرأ تلك الرسالة والتي ما كانت تتوقع أن تفتح ذلك الجرح بعد تلك السنوات.

استقرت على الكرسي الهزاز المجاور لشرفة منزلها والتي كانت تستمتع ببعض الهدوء النسبي مثل هذه الساعة قبل عودة أبنائها من المدارس، خصوصًا بعد أن اتخذت أصعب قرار في حياتها وتركت العمل للتفرغ لتربيتهم، بعد أن باتت نظرات الجميع إليها لا تُحتمل. مع الرشفة الأولى لمزاق قهوتها المرة مثل حياتها كانت تحاول عبثًا إلقاء نظرة سريعة على الخطاب مبتدئة بآخر صفحة وهي تحاول مرة أخرى بعد أن قتلها الفضول أن تجد توقيع صاحب الخطاب والتي استبعدت بالطبع أن يكون ذلك الإسباني الذي يكتب

إليها بالعربية! حتى لم تجد مفرًّا إلا أن تعود إلى اتزانها مرة أخرى لتبدأ قراءة الرسالة من بدايتها علَّ ما تحويه في طيات سطورها يزيح عن واقع حياتها ذلك الغموض الذي يسيطر عليها.

***

عزيزتي فريدة:

"ترددت كثيرًا أن أكتب إليك بعد مضي تلك السنوات، ولكنني كتبت حتى يرتاح الفؤاد ويبوح بما يخفيه من أسرار، أعلم علم اليقين أنك تشتاقين لسماعها وإن كنت لا أعرف هل ما زال في قلبك الشغف بعد تلك السنوات أن تعرفي حقيقتها أم أن حالة اللا مبالاة قد تملكت منك بعد تلك الأحداث الجسام التي مررت بها.

في البداية لا أريد منك أن تبحثي في طيات هذه الرسالة عن اسم الراسل فأنا على يقين من أنك ستعليمنه في طياتها، لذلك لا تجهدي نفسك في البحث عنه، بل اكتفي بمشروبك المفضل قبل أن ينزاح عن واقعك حجاب سميك تتجلى خلفه الحقيقة جلية.

تلك الحقيقة التي وهبتِ نفسك لكشفها قبل بضع سنوات تضاربت فيها حياتك بين صراعات لم تكوني تتخيلين يومًا أنك سوف تمرين بها، ولكني كنت أتابعك في كل لحظة بنظرة الإعجاب مشوبة بالحذر والخوف منك، تلك النظرة التي دفعتني الآن أن أكتب إليك".

***

أعادتها تلك المقدمة في الرسالة إلى الخلف بضع سنين، وضعت الرسالة على المائدة الصغيرة المجاورة للكرسي الذي كانت جالسة عليه بجوار فنجان قهوتها الفارغ، تحاول استنشاق من الهواء ما يفتح رئتها ونفسها لمزيد من التشويق الذي كانت تحمله طيات هذه الرسالة، وكأنها لا تريد أن تنهيها سريعًا وهي تحاول أن تستعيد ذاكرتها تلك الأيام التي بدت مشوَّشة في ذاكرتها ولكنها ما كانت أن تنمحي منها أبدًا فعادت إليها جلية تلك الليلة. أغمضت عينيها وتركت نفسها لرياح الماضي تهب عليها مرة أخرى.

(1)

القاهرة قبل بضع سنوات

كانت الأحداث أكبر من أن يدركها عقلها، وقفت وسط خضم من رجال المباحث في داخل المنزل وهي تحاول استيعاب ما يحدث من حولها، لم يمضِ الكثير على غياب زوجها وإغلاق هاتفه المحمول لم يتسنَّ لها فيهم الوصول إليه! أما الآن فقد باتت الأمور أكثر تعقيدًا بعد تلك المكالمة القاتلة من يحيى زوج صديقتها الذي كانت نبرة صوته منذ الوهلة الأولى تنبئ بكارثة تراءت فيها صورة هاني زوجها.

ألفت غياب زوجها كل هذه الفترات، فرغم خوفها عليه إلا أنها كانت تسوق لنفسها مبررات الغياب، إلا من تلك المكالمة التي حاولت أن تفسر طول الطريق إلى منزل يحيى سبب استدعائه لها الآن في منزله وبتلك النبرة التي أخبرها بها عن تلك الكارثة بكلمات معدودة أرعدت فرائصها.

- فريدة، ياريت تيجي هنا دلوقت.

صمت برهة قبل أن يرد على سؤالها الذي لم تنطقه:

- أيوه هاني هنا، البقاء لله يا فريدة، يا ريت تيجي بس بسرعة علشان المباحث هنا في الشقة عندي والدنيا مقلوبة.

لم تعلم حتى الآن ماذا حدث لزوجها، كل ما تأكدت منه أنه توفى، توقف عقلها عن التفكير، ولكن لمَ تذهب إلى منزل يحيى! ولمَ المباحث بالتحديد هناك وليس في مسرح الحادث؟! إلا إذا كان بيته هو مسرح الحادث!

حتى دموع امرأة ثكلى فقدت زوجها حرمتها منه يد القدر، استقلت سيارة أجرة قبل أن تخبر والدها بما حدث وتطلب منه أن يسبقها إلى المنزل الذي كان مكتظًا بالحضور، بعينين زائغتين حاولت عبثًا العثور على أي شخص تعرفه، حينما شاهدت يحيى يجلس على الأريكة الأمامية بجوار شاب في الثلاثين من عمره يرتدي بدلة كاملة وعلى الكرسي المجاور لهم شخص آخر أقل بهاء من الأول يدوِّن أقوال يحيى التي يسردها، المنزل مفتوح الباب بينما رجال بدا من عملهم وعبثهم في المنزل أنهم من رجال البحث الجنائي، كان هناك شخص يرتدي قفازًا طبيًا يضع فنجان قهوة فارغ في كيس بلاستيكي، بينما الآخر يمسك فرشاة يرفع البصمات من على باب المطبخ.

جرى عليها والدها، بيد أنه كان أقرب إلى المكان فالتقطها في حضنه، لم يستطع أن يتكلم إلا من دمعة شاركتها دموعها وحزنها وهو يقول لها:

- شدي حيلك يا بنتي، إنتي طول عمرك قوية ومؤمنة.

- في إيه يا بابا أنا مش فاهمة حاجة؟! فين هاني وإيه اللي بيحصل هنا؟!

التفت الجميع إلى حضور فريدة، توجه إليها يحيى الذي كانت علامات الرعب بادية على ملامحة وهو بجوار ذلك الرجل الذي ظهر مسدسه الموضوع على الحزام الملفوف حول خصرة يعرِّفه عليها.

- فريدة، زوجة هاني.

مدَّ ضابط المباحث يدَه يسلم عليها وهو يواسيها ولا يعلم كيف ينقل الخبر لها.

- البقاء الله يا مدام فريدة، اتفضلي اقعدي معانا شوية، اتفضل يا أستاذ يحيى نكمل التحقيق.

ثم التفت إليه مرة أخرى وقال له:

- أستاذ يحيى معلش ممكن تكرر اللي قولته تاني من لحظة رجوعك البيت واكتشاف الحادثة.

- أنا كنت مسافر 3 أيام خارج القاهرة ولما رجعت فتحت باب الشقة شميت رائحة غريبة جدًّا، طبعًا جريت على أوضة النوم وشُفت المنظر اللي إنتوا شوفتوه دا.

كانت تتابعه فريدة التي يقف بجوارها والدها وهي لا تعلم حتى الآن ماذا يحدث، لفت انتباهها جثمانان مغطيان بالملاءات البيضاء يخرج بهما أربعة رجال من باب المنزل، لم تتصور أن يكون زوجها واحدًا منهم، انهارت من البكاء بينما تقدم منها والدها يحاول أن يهدئها حينما كان يكمل يحيى حديثه:

- لما دخلت الغرفة كانت سلمى وهاني على نفس السرير عريانين وواضح إنهم متوفين، صرخت طبعًا من الرعب واتجمع الجيران، اللي مش عارف مين غطاهم بالملايات ولا مين اللي طلب الشرطة لحد دلوقت.

كانت فريدة في ذهول من أمرها، لا يمكن أن يكون ما سمعته حقيقة؛ زوجها وصديقتها المقربة عاريان على سرير واحد! أخرجها ضابط المباحث من حالة الذهول وهو يقول لها:

- زي ما انتي سمعتي كده يا مدام، بالمعاينة المبدئية للشقة وجد أن عين البوتاجاز مفتوحة، وواضح إن سبب الوفاه تسرُّب غاز من البوتاجاز بعد

فوران القهوة عليه، وبالطبع أنبوبة البوتجاز كانت فضيت لما وصل يحيى بعد ما قضت عليهم تمامًا. على العموم مش هنسبق الأحداث قبل تقرير الطب الشرعي وتحريات المباحث بس من المعاينة المبدئية بتوضح إنهم كانوا مع بعض ونسيوا القهوة على النار ففارت وهما نايمين.

- إيه الكلام اللي بتقولوه دا، يعني إيه كانوا مع بعض! يعني إيه كانوا عريانين! أنا مش فاهمة إنتوا بتلمحوا لإيه بالظبط؟

- مدام فريدة أنا عارف إن الصدمة كبيرة وأكبر من استيعابك بس ياريت تساعدينا نخلص شغلنا، آخر مرة شُفتي فيها جوزك كان إمتى؟

- إمبارح بعد الشغل، قالي رايح مشوار ومش هتأخر.

- ولما مارجعش ماقلقتيش عليه؟!

- هاني متعود يبات خارج البيت كتير من غير ما يقولي.

- ولا فكرتي تكلميه تطمني عليه؟!

- عادي كلمته تليفونه كان مغلق.

- ودا ما قلقكيش؟

- أكيد قلقت بس قُلت عادي، هاني كان شخصية انطوائية شوية وكان بيحب العزلة والهدوء وأنا وهو دايمًا متفقين على احترام خصوصية بعض لو حد حب يختلي بنفسه.

تذكرت تلك المشاجرة التي حدثت بينهما بالأمس وخرج على إثرها غضبان، لا تعلم لماذا لم تذكرها، كانت تشعر أنها لن تفيد بشيء في تلك القضية، حياتها الشخصية دائمًا هي وزوجها كانت مغلقة عليهما. وكانت تشعر أن تلك الواقعة

لن تؤثر على الأمر في شيء، حتى أعادها ذلك السؤال من المحقق مرة أخرى إلى واقعها.

- كنتي تعرفي المجني عليها؟!

- أكيد، دي أقرب صديقة ليا، كلنا أنا وهاني وسلمى وجوزها يحيى شغالين في مكان واحد والعلاقة بينا كانت علاقة أُسَرية من زمان.

قاطعها الضابط قائلًا بتهكم.

- واضح إنها ما كانتش أسرية بس، على الأقل من طرفهم هما، على العموم كفاية كده دلوقت أنا أمرت بنقل الجثتين إلى الطب الشرعي والوقوف على أسباب الوفاة ومن فضلكم هتشرفونا شوية في القسم لحد تقرير الطب الشرعي ما يجي.

هنا لم تستطع فريدة أن تضبط أعصابها فانفجرت في وجه ضابط التحقيقات تخاطبه:

- تلميحك مرفوض، وأنا أرفض إن يتقال إن جوزي أو صديقتي كان بينهم علاقة غير مشروعة، جوزي وصاحبتي أشرف من أي حد يتكلم عليهم.

بنفس اللهجة خاطبها.

- مش إنتي اللي تحددي مين اللي المجرم ومين البريء، فيه تحقيقات مباحث ونيابة وهي اللي هتقرر في الآخر مين المذنب ومين القاتل.

- ولو التحقيقات والنيابة أثبتوا إن فيه بينهم حاجة أنا مش هسلم بيها.

- والله دي مشكلتك بقى إنتي حرة فيها، أنا عندي أدلة بشتغل عليها، قناعاتك الشخصية دي مشكلتك إنتي مش مشكلتي أنا.

***

أنهى ضابط المباحث تحرياته وأحال الملف إلى النيابه، سجلت الحادثة وفاة بسبب تسرُّب الغاز من فوهة البوتجاز أثناء علاقة غير شرعية.

أمرت النيابة إخلاء سبيل فريدة من سراي النيابة بعد سماع أقوالها، بينما أمرت بحبس يحيى أربعة أيام على ذمة التحقيقات لحين حضور تقرير الطب الشرعي والمعمل الجنائي.

لم تكن فريدة حتى هذه اللحظة تستوعب ما يدور حولها، بين ليلة وضحاها فقدت زوجها وصديقتها وتطاردهما تهمة الخيانة، أبعدت الفكرة من رأسها وأكدتها في تحقيقات النيابة التي يبدو أنها لم تعتد برأيها وهي تؤكد أنه من المستحيل قيام علاقة بين زوجها وصديقتها.

بعد أربعة أيام أمرت النيابة بإخلاء سبيل يحيى كما أمرت بدفن الجثث وحفظ التحقيق بعد تقرير الطب الشرعي الذي أرجع حادث الوفاة إلى اختناق نتيجة تسرُّب غاز وقيدت الواقعة "قضاء وقدر" لتفوق فريدة على صدمة خيانة زوجها وصديقتها.

)+ظثج،ظل×

حاولت فريدة استقبال نجليها بشيء من الهدوء المعتاد دون أن تظهر أي قلق من تلك الرسالة التي لم تستكمل قراءتها، جهزت الغداء بنفس الوتيرة اليومية التي كانت تحافظ عليها وشاركتهما فيه بينما عينها الزائغة من المجهول الذي ينتظرها في تلك الرسالة يسبق الشوق في استكمالها، أنهت الغداء وطلبت منهم بكلماتها الحاسمة والتي اعتادوا عليها التوجه إلى غرفة نومهم للقيلولة قبل مذاكرة دروسهم لتتفرغ هي مرة أخرى لاستكمال الرسالة.

***

"ربما ليس من المناسب الآن الإسهاب في الإشادة بشخصيتك لأنني لا أريد أن أطيل في المقدمة التي ربما تكون باعثة على إثارة الملل في نفسك، ولكني لا أستطيع أيضًا أن أبدأ كلامي قبل تسجيل إعجابي الشديد بشخصيتك التي استطاعت أن تبهر كل من حولها وكل من تعامل معك، حتى كادت أن تحول الوهم إلى حقيقة وكانت شهادة منك كفيلة أن تزرع اليقين في قلب ملأه الشك، لذلك كنت دائمًا أنت العقبة أمامي.

أتبعك عن كثب حتى أتقي شر نبشك في الأمر، يملأني إحساس الخوف منك وفي نفس الوقت يجذبني شيء ما في عينيك اللتين كنت أخاف منهما وأتحاشى نظراتهما في المرات القليلة التي جمعتنا معًا، كنت أقف أمامك أشعر

أنتِ تعرفين كل شيء من نظرة عيني، تلك النظرة التي كثيرًا ما كنت أتحاشاها حتى لا ينفضح أمري، فليس من السهل أن يلتقي الإنسان بعين قاتله خصوصًا عينيك أنت وقوتها."

***

حاولت فريدة استعادة أحداث تلك السنوات منذ بداية زيارتها لمنزل يحيى بعد تلك الحادثة، كانت الأحداث قد بدت أمام ذاكرتها الآن أكثر وضوحًا بعد أن نشطت تلك الرسالة ذاكرتها.